ب

السيد المسيح واقرباؤه بالجسد



بقلم

الاب عبد الاحد توما السرياني البرطـلي

الحلقة الثالثة

مطبعة الاتحاد الجديدة

نسب السيد المسيح واقرباؤه بالجسد

بقلم الاب الفاضل الراهب
عبد الاحد توما البرطلي

يتيه العقل البشري عجبا بتنازل السيد المسيح له المجد ، فمع كونه « قوة العلي » (لو ١:٣٥) و « كلمة الله » (يو ١ : ١) و « ابن الله » (مر ١ : ١) ؛ شاء ان ينتسب الى البشرية ، ويضم اسمه الى جدول الانساب ، ذلك لكي يشرف البشرية الساقطة ويرفعها من الحضيض ويجلسها في السماء ، فتسنى من ثم لمتى الانجيلي ان يدعوه ابن داود وابن ابراهيم ، وليوحنا ان يقول فيه « الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته ايدينا من جهة كلمة الحياة » (ايو ١ : ١) .

ان اليهود فضلا عن عدم اقتناعهم بالوهية المسيح وأزليته : فقد كانوا يشكون به من جهة كونه من نسل داود ايضا : لذلك انبرى الانجيليان متى ولوقا فدون كل منهما جدولا خاصاً بنسب المسيح بالجسد ، كاشفا القناع عن وجه هذه الحقيقة الناصعة، وقد يخيل لأول وهلة لمن يطالعها : ان هناك تناقضاً بينهما ، غير ان الحقيقة تنكشف له لدى امعان النظر فيها، فيرى ان اصل كليهما واحد هو داود ، اذ أورد متى نسب سليمان بن داود الذي انحدر منه يوسف خطيب مريم . أما لوقا فقد دون نسب ناثان بن داود الذي انحدرت منه والدة الاله مريم . فاتضح من كليهما كون السيد المسيح من نسل داود وابراهيم سواء كان من جهة امه مريم أو من جهة خطيبها

يوسف البار .

كانت مريم ابنة هالي الذي ورد ذكره في جدول لوقا ، ويسمى يوياقيم ويوناخير ايضاً ، واسم امها حنة او دينة . ولم يضم القديس لوقا اسمها الى جدوله فاستعاض عنه باسم خطيبها عملا بتقليد اليهود في تدوين الانساب . أما يوسف فكان الابن الطبيعي ليعقوب كما ذكر متي في جدوله ، والابن الناموسي لهالي كما ذكر لوقا ، اذ كان خطيبا لمريم ابنة هالي . وكان جد مريم ويوسف واحداً هو ماتان (اي مطثث) اذ ولد ماتان يعقوب أبا يوسف وهالي ابا مريم (١) .

كانت حنة عاقرا (٢) ، فنذرت وزوجها هالي ان يقدما للرب الثمرة التي يمن بها عليهما ، فاعطاهما الرب ابنة سمياها مريم ومعناها نور (٣) . ولما تمت لها ثلاث سنوات حملاها الى الهيكل لتخدم فيه بصفتها ابنة النذور .

كان زكريا أبو يوحنا المعمدان أحد كهنة اليهود ، من فرقة آبيا ونوبتها الثامنة بين الاربع والعشرين فرقة التي رتبها داود الملك (١ أي ٢٤ : ١٢) وبما ان هذه الفرق او النوبات تبتدىء من عيد الفصح الواقع في ١٤ نيسان القمري : فتكون اذاً نوبة زكريا في الاسبوع الثامن اي في نصف

(١) مشكاة الطلاب للاسقف ايسيذوروس ص ٤٤٢-٤٤٣

(٢) خطبة مار غريغوريوس النوسي في ميلاد الرب ، في كتاب التراجيم السنوية للآباء الارثوذكسيين .

(٣) خطبة مار غريغوريوس العجائبي في بشارة والدة الاله ، في كتاب التراجيم السنوية المشار اليه .

حزيران . وكانت اليصابات زوجة زكريا نسيبة مريم ، ذلك ان امها وهي من سبط يهوذا كانت اخت حنة ام مريم ، اذ كان مأذونا للكهنة ان يتزوجوا من اي سبط كان .

عاشت مريم في الهيكل محلية نفسها بالقداسة والتواضع وسائر الفضائل حتى فاقت جنس النساء ، وقد اظهرت نحوها نسيبتها اليصابات عناية كبرى حتى بلغت الثالثة عشرة من عمرها (١) . ثم أوحى الله الى الكهنة ان يعقدوا خطبتها ، اذ لم يكن مأذونا للشابات البالغات البقاء في الهيكل . فخطبوها ليوسف البار ، وتم بذلك ما قاله اشعيا : « السفر المختوم الذي يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا استطيع لانه مختوم » — (اش ٢٩ : ١١) (٢) .

كان يوسف نجاراً من الناصرة ، وكان قد تزوج ورزق سبعة اولاد هم يعقوب ويوسي وشمعون ويهوذا والآخرون المذكورون في الانجيل المقدس . ثم توفيت زوجته ، فعاش بعد وفاتها بعفة وطهر وقداسة ، مربيا اولاده بحسب ناموس الرب . فلما خطبت له مريم : أخذها الى الناصرة وفي هذه السنة بشرها الملاك بالحبل الالهي . فلما صدقت قوله حل عليها الروح القدس وقدسها وطهرها من الخطيئة الأبوية (٣) . ثم ذهبت لزيارة نسيبتها اليصابات

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٨٨ والتاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٤٦ .

(٢) خطبة الذهبي الفم في بشارة والدة الاله مريم ، في كتاب التراجيم السنوية وفي ملحق كتاب البوق الانجيلي الجزء الثاني .

(٣) مقالة مار غريغوريوس النزينزي في ميلاد الرب ، في كتاب التراجيم

في اورشليم حيث قضت ثلاثة اشهر ، ثم عادت الى يوسف الذي أراد تخليتها حين شك بأمر حبلها الآلهي ، فظهر له الملاك وأخبره بان حبلها من الروح القدس .

وفي تلك الايام صدر أمر من اوغسطس قيصر بان تكتتب كل المملكة الرومانية ، فصعد يوسف ومريم من الناصرة الى بيت لحم مدينة داود لكونهما من نسل داود ، ليكتتبا . وبينما هما هناك تمت ايام مريم لتلد . فولدت يسوع المشرع الآلهي .

توفي يوسف البار قبل ان يشرع المسيح بخدمته العلنية ، كما يستنتج من تساؤل اليهود عن يسوع « أليس هذا النجار ابن مريم » (مر ٦ : ٢) (١)؟ وكانت مريم تعيش مع اولاده الذين لم يؤمنوا بالمسيح في اول الامر ، حتى انهم لما سمعوا انه يكرز في الجليل خرجوا ليمسكوه لانهم قالوا انه مختل (مر ٣ : ٢١) وفي فرصة اخرى قالوا له : « اذهب الى اليهودية واظهر نفسك للعالم » (يو ٧ : ٢-٤) (٢) .

السنوية ، وباعوث مار يعقوب السروجي في فرض صباح الاربعاء ، غير ان روما قررت في مجمع الفاتيكان سنة ١٨٥٤ بان العذراء مريم حبل بها بلا دنس ، حسما للخلف الذي شجر بين رهبانها « الفرنسيسكان والدومنيكان » حول هذه القضية ، لتغلب حزب الفرنسيسكان القائل بها .

(١) تفسير ابن الصليبي لانجيل مرقس ٦ : ٢

(٢) ان اخوة يسوع بالجسد لم يؤمنوا به الى ما بعد القيامة ، لذلك لا يمكن ان يكونوا رسلا من الاثني عشر وهم غير مؤمنين . وقد ذهب العلامة

ثم نرى الأم القديسة تتبع ابنها الى الجلجلة . وهناك وهو على الصليب ، سلمها الى تلميذه يوحنا الحبيب ليعتني بها بدلا منه وبعد صعوده الى السماء نراها والنساء القديسات في العلية الصهيونية مع الرسل ، حيث شهدت حلول الروح القدس يوم العنصرة ، وبعد هذا لا نرى ذكراً لها في اسفار العهد الجديد ، غير ان التاريخ الثابت يخبرنا بانها عاشت خمس سنوات فقط بعد صعود ابنها ، ثم توفيت في اورشليم وهي في الحادية والخمسين من عمرها(١) فجنزها الرسل والمؤمنون ودفنوها في جتسيماني . ثم نقلها ابنها الى

الغربي مار ايرونيمس في القرن الرابع الى ان الرسول يعقوب بن حلفى ويعقوب أخا الرب شخص واحد ، وان يهوذا أخا يعقوب هو يهوذا أحد الاثني عشر ، وان يعقوب واخوته هم اولاد مريم قليوفا المذكورون في الانجيل ، وان قليوفا هو حلفى أبو يعقوب الرسول . وقد أبدى هذا الرأي وهو شاب بعد ، لكنه عدل عنه وهو شيخ اثناء تفسيره الاصحاح ال ١٧ من اشعيا قائلا : ان يعقوب واخوته هم اولاد يوسف البار من زوجة سابقة ورأيه هذا الاخير هو المعول عليه وهو رأي علماء الكنيسة الأولين ، منهم اوريجانس واوسابيوس القيصري والذهبي الفم . واياه احتضنت كنيستنا السريانية (أنظر تفسير ابن الصليبي لانجيل متى ١٢ : ٤٦ ومر ٣ : ٢١ ويو ٧ : ٣ ، ومقدمة تفسيره رسالة يعقوب) . اما اللاتين فقد أخذوا رأي علامتهم الاول ، وغايتهم من ذلك ان يجعلوا يوسف البار مربي يسوع عزبا غير ان العلماء البولنديين الكاثوليك يتبعون رأي الكنيسة الارثوذكسية .

١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٨٨

الفردوس (١) .

أما اولاد يوسف وهم اخوة المسيح بالجسد : فقد آمنوا به بعد قيامته . وربما لأجل هذه الغاية ظهر لأخيه يعقوب في المدة التي تخللت قيامته وصعوده كما يخبرنا بولس الرسول (١كو ١٥ : ٧) . وبعد هذا انتخبه الرسل وأقاموه اسقفاً لاورشليم (٢) . وفي سنة ٥١ حضر المجمع الرسولي الذي عمل باقتراحه من جهة المؤمنين الذين من الامم (اع ١٥ : ١٣ و ٢٠) وفيه تميز وبطرس ويوحنا لخدمة أهل الختان (غل ٢:٧) .

اما فضائله فقد وصفها لنا اقليمس الاسكندري قائلا : انه يدعى صديقا من كل أحد أي من اليهود والرومان لأنه مقدس من بطن أمه ولم يشرب خمراً ولامسكراً ولم يأكل لحما ولم يعل موسى على رأسه ، وكان يدخل الهيكل وحده ويجثو على ركبتيه مستغفراً عن آثام الشعب ولكثرة ركوعه تخشنت ركبتاه حتى أصبحتا مثل ركبتي الجمل (٣) ، اما ايرونيموس فيقول انه في احدى السنين لما شح المطر واتلفت الزروع طلب اليه اليهود ان

١) هكذا اعتقدت الكنيسة منذ صدر النصرانية . قال ابن العبري : «اذا نذر احد ان يصلي في بيعة والدة الآله التي في انطرطوريا ، يتم نذره وان صلى في بيعة اخرى مشيدة على اسم والدة الآله . ولكنه اذا نذر ان يصلي في بيعة مار يوحنا الأنجيلي : لا يتم نذره الا اذا صلى في البيعة التي دفن فيها : لأنه كما انه لا يوجد مينات لوالدة الآله في جميع الكنائس : كذلك لا يوجد في بيعة انطرطوريا ، وليس كذلك القديسون الآخرون » (هدايات ٣٧ : ٣ ق ٣) .

(٢) هدايات ٧ : ٤

(٣) اوسابيوس ٢٣.٢

يصلي الى الله ، فصلى ، واستجاب الله صلاته وأرسل مطراً غزيراً . الأمر الذي رفع منزلته في أعين اليهود . وكان حافيا صائما يأكل البقول كل أيامه(١) واشتد عليه بمدمدة حنق اليهود وأرادوه على انكار المسيح جهاراً فلم يرض فأمسى فريسة لمطامعهم ، ذلك ان حنانيا بن اناس رئيس كهنة اليهود حاكمه في مجلسه وأمر برجمه كما شهد يوسيفوس المؤرخ العبري (٢)

اما هيجيسيبوس الذي عاش في القرن الثاني فيتكلم عن استشهاده بالتفصيل قائلا : انهم أقاموه على جناح الهيكل وقالوا له أيها الصديق اشهد عن يسوع المصلوب من هو . فصرخ بصوت عال قائلا : ماذا تسألونني عن ابن الانسان فانه جالس في السماء عن يمين الله وسيأتي ثانية فوق سحب السماء » فازداد بهذا المؤمنون يقينا ، فسبحوا الله قائلين : « اوشعنا لابن داود » اما الكتبة والفريسيون فثار ثائرهم وضجوا قائلين : لقد ضل الصديق ، ثم صعدوا الى جناح الهيكل وطرحوه الى أسفل ، فلم يمت لكنه جثا مصليا لأجلهم ، ثم ضربه أحدهم بمطرقة قصار على رأسه فاستشهد ودفن بجانب الهيكل (٣) وكان ذلك سنة ٦٢ . وقد القى هذا الحادث المريع خوفا عظيما في قلوب اليهود حتى ان يوسيفوس الشهير الذي كان معاصراً له يعزو خراب اورشليم الذي حل بعد مدة يسيرة : الى نقمة الله العادلة بسبب ما فعلوه بالصديق(٤) ، وقد شهد هيجيسيبوس بأن ضريح مار يعقوب كان معروفا في عهده باسمه

١) الخريدة النفيسة للاسقف ايسيذوروس جزء ١ ص٥٥ و ٥٦

٢) بطريركية انطاكية بالانكليزية تأليف الدكتور نيل ص١٠

٣) اوسابيوس ٢ : ٢٣

٤) تاريخه الفصل العاشر ص ٢٧٣

الذي كان مكتوبا عليه (١) الأمر الذي يبرهن على ان المؤمنين كانوا يجلونه كثيراً . بل وقد اشتد حرصهم على حفظ كرسيه الذي كان يجلس عليه حتى أواخر القرن الثالث كما شهد اوسابيوس القيصري (٢) .

لقد ترك مار يعقوب رسالة أنفذها من اورشليم سنة ٦١ الى الاسباط الاثني عشر المشتتين بين الامم . وفيها يؤيد رأي مار بولس (يع ٢:٤ـ٢٦) ويتنبأ عن خراب اورشليم (٥:١) ويستعمل الاسم المسيحي (٢:٧) ، كما انه انشأ بالسريانية الليتورجية المنسوبة اليه .

وبعد استشهاد مار يعقوب اجتمع تلاميذ المسيح في اورشليم مع أقرباء الرب الذين كانوا بعد في قيد الحياة ، وتداولوا في أمر اقامة خلف له ، فانتخبوا بالصوت الحي مار شمعون بن قليوفا وساموه حوالي سنة ٦٨ وكان هذا ابن عم مار يعقوب، وقد ذكره الانجيل الشريف مع اخوته وأمه مريم قليوفا. وقبل انحاصر تيطس اورشليم نحو سنة ٧٠م غادر المدينة مع المؤمنين الى مدينة بلة القريبة من بيسان شرقي الاردن وسكنوها ، فحفظوا من كل أذى . وبعد خراب اورشليم عادوا اليها ، وسنة ١٠٦ القى القبض عليه اطيقوس حاكم سوريا ، فعذبوه أياما كثيرة ، فاحتمل ذلك بصبر عجيب حتى دهش الحاكم لما رآه شيخا بالغا من العمر نحو ١٢٠ سنة ، يحتمل العذاب بمثل هذا الصبر ، ثم حكم عليه بالصلب ، وهو آخر الجيل الذى استحق ان يرى الرب ويسمع حكمة الله (٣) .

١) الدرر النفيسة تأليف قداسة البطريرك افرام الاول مج ١ ص ٢٨٦
٢) فيه ص ١٣٤ ٣) اوسابيوس ٣: ٣٢ و ٤: ٢٢

ويهوذا المعنونة باسمه الرسالة في العهد الجديد هو يهوذا أخو الرب ، وقد وشي بابنيه عند الملك دومتيان سنة ٩٥ على انهما من نسل داود ، ذلك انه داخله الخوف على عرشه لما بلغه من بعضهم من ان المسيح سيملك على العالم كله ، نخشي ان يتم ذلك في ايامه فاستقدمهما الى رومية وسألهما عن المسيح ومملكته ، فأجاباه ان مملكته ليست من هذا العالم ، وستكون في انقضاء الازمان متى جاء بالمجد ليدين الأحياء والاموات ويجازي كلا كاعماله . ثم اخبراه عن عيشتهما الخشنة فاطلق سبيلهما . فلما عادا الى اورشليم شرعا بافتقاد الكنائس التي احتفت بهما ، وعاشا الى زمن الملك تراجان (١) .

هكذا كانت لاسرة يوسف مربي ربنا بالجسد منزلة رفيعة في الكنيسة كلها ، حتى ان كرسي اورشليم الاسقفي حفظ لافراد هذه الاسرة لمدة تنيف على مئة سنة كما شهد المؤرخون .



١) اوسابيوس ٣: ٢٠ و ٢٥ و ٣٢

بين الشـــرق والغرب

صفحات ذهبية
من تاريخ الكنيسة المسيحية

بقلم

الأب عبد الأحد توما السرياني البرطلي

الحلقة الثانية

طبعت بمطبعة الاتحاد - الموصل

« هذه حلقة ثانية من سلسلة كثيرة الحلقات ، ألقيها بين يديك أيها السرياني العزيز ، آملا ان تقع منك موقع استحسان ».

المؤلف

بين الشرق والغرب

لاح فجر النصرانية المنير ، وفي المملكة الرومانية ثلاث عواصم هي روما والاسكندرية وانطاكية . فنشأت فيها ثلاثة كراسي اسقفية عظمى متساوية في كل شيء ، ولكل من رؤسائها ميزة السلطان التام على البلاد التي تنضوي تحت لواء كرسيه ، وسلطانه محدود في كنائس الأساقفة الذين هو اولهم . وقد أيد ذلك المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ بقانونه السادس آمراً بحفظ العادة القديمة . وجاء المجمع القسطنطيني سنة ٣٨١ ورفع منزلة اسقفية القسطنطينية فجعلها كرسيا رابعا ، اذ اضحت عاصمة اخرى للمملكة الرومانية ودعيت روما الجديدة (١) .

ان كل كرسي من هذه الكراسي الأربعة كان يتصرف بحرية مطلقة ضمن نطاقه ، يضع لكل أمر نظاما ، ولكل سلطان حدودا ، يعقد المجامع الاقليمية مرتين في السنة ، كما كانت تنص القوانين الرسولية ، ينظر في امور الكنائس ويحكم على المراطقة ، ويحافظ على الايمان القويم ، ويقرر تحديدات القضايا اللاهوتية كما يشهد التاريخ الصحيح . فان القديس اغناطيوس النوراني بطريرك انطاكية الثالث (١٠٧م) عندما كان يتأهب لقبول اكليل الشهادة كتب سبع رسائل الى الكنائس الأخرى يشرح فيها الايمان القويم ويفند مزاعم الهراطقة . ومما قال في رسالته الى اهل كنيسة روما : « اذكروا بالصلاة كنيسة سوريا التي لها اليوم راع عوضي الاله يسوع المسيح وحده (٢) » ثم عهد برعيته الانطاكية الى القديس بوليقربوس اسقف

١) مجموعة قوانين المجامع لمار يعقوب الرهاوي

٢) اخبار الشهداء والقديسين طبعة بيجان مج ٣ ص ٢١٠

ازمير وسأله ان يعتني بها باجتهاد (١) . وهذا دليل راهن على ان ليس للكنائس رئيساً عاما عدا يسوع المسيح الذي سيشملها بعنايته ويقيم لها من يشاء . ونرى القديس ثاوفيلس الانطاكي (١٦٩–١٨٢) يقرع اهل البدع ويشرح حقيقة الدين المسيحي المبين بمصنفاته القيمة (٢) . وأول من يجاهر بالثالوث الأقدس والجوهر الواحد (٣) . وكذلك يفعل القديس سرافيون الانطاكي (١٩١–٢١١) برده على آراء الهراطقة السقيمة (٤) . ولم يكن ذلك الايمان قد أملاه على اولئك الآباء رئيس عام على الأرض ، بل كان تقليداً رسولياً تسلمته كنيستهم من الرسل الاطهار مباشرة .

وفي القرن الثالث لما سقط بولس الشميشاطي بطريرك انطاكية في بدعة وخيمة ، لم ينزله عن كرسيه رئيس أعلى ، بل عقد اساقفة ابرشية انطاكية مجمعا سنة (٢٦٨) وفندوا بدعته وعزلوه وأقاموا بدلا منه دومنوس الأول . وبعد ان انهى المجمع مهمته كتب لمكسيموس الاسكندري ولديونيسيوس الروماني وغيرهما من الأساقفة كي يمدوا يمين الشركة للبطريرك الجديد . وبما ان ديونيسيوس هذا لبى دعوة ربه قبل بلوغ رسالة المجمع اليه ، رضخ خلفه فيلكس الأول لأمر المجمع (٥) .

١) التاريخ الكنسي لأوسابيوس القيصري ٣ : ٣٦

٢) اوسابيوس القيصري ٤ : ٢٤ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٠٩ وتاريخ ابن العبري الكنسي في ترجمته ، وبطريركية انطاكية تأليف الدكتور نيل بالانكليزية ص ٢٥

٣) بطريركية انطاكية ص٢٩ وكتاب : Who's who in the early Chusch, Rev. Wm. C. Piercy, M A. p118

٤) اوسابيوس ٥: ١٩ وبطريركية انطاكية ص٣٥ ٥) اوسابيوس ٧: ٢٧–٣٠

لم تكن روما اذن مثلا إلا جزءاً من الكنيسة الجامعة ، وكانت نسبتها الى الكنيسة العامة كنسبة الجزء الى الكل . وهنا يطيب لنا ان نورد شهادة العلامة مار ايرونيمس في القرن الرابع وهو احد علماء اللاتين الاربعة العظام ، قال : « ان أردنا ان نفكر من اجل العظمة ، فالعالم اعظم من روما . ان الاسقف سواء كان في روما او في دان « قرية حقيرة » او في افغوبين « قرية احقر من دان » فهو يحوي شرفا هو هو بعينه وكهنوتا بعينه فالعظمة والغنى والتواضع والفقر لا تجعل الاسقف عظيما او حقيرا » (١)

أجل ، ان روما مثل غيرها كانت جزءاً من الكل ، وقد رأيناها يوما ضعيفة ذليلة تستغيث بالكرسي الرسولي الانطاكي لحسم شقاق عظيم أحدثه فيها نوباطيان اسقفها الدخيل . ففي سنة ٢٥١ انتخب مار قرنيليوس اسقفا لروما فقاومه القس نوباطيان ، ثم خدع ثلاثة اساقفة فأقاموه اسقفا دخيلا على روما وكتب الى فابيوس بطريرك انطاكية يستميله اليه ، فبعث اليه مار قرنيليوس ايضا اربع رسائل تبسط فيها في شرح حقيقة الحال له مستغيثا به طالبا نجدته . وقد حفظ لنا اوسابيوس القيصري فقرات منها في تاريخه الكنسي (٢) . فعقد مار فابيوس مجمعا في انطاكية سنة ٢٥٢ للنظر في ذلك الأمر (٣) ، ولكنه توفي قبل ان ينهي المجمع اعماله ، فسيم القديس ديمتريوس فأفرغ اصحاب نوباطيان كنانة جهدهم للحصول على مصادقته ، ولكنهم باءوا بالفشل ، لأن المجمع الانطاكي المقدس أصدر قراره ضدهم . وأخبر قرنيليوس برسالته المجمعية بانه نبذ نوباطيان المنشق نبذ النواة . ولا شك

١) رسالته الى افغاريوس ٢) اوسابيوس ٦ : ٤٣

٣) اوسابيوس ٦ : ٤٦

فقد استعمل المجمع الانطاكي سلطة عظيمة في تقريره عن شقاق كنيسة روما (١) .

ان الكنيسة المسيحية علمت منذ نشأتها بعدم وجود رئاسة منفردة ، وان المرجع الأعلى هو المجمع المسكوني والنافذ الحكم ، وكان يعتبر مسكونيا سواء تخلف عن حضوره احد اساقفة الكراسي الاربعة ام لا ، لأن الكل لا يفتقر الى الجزء ولا يعكس ، وهذا ما تؤيده الامور التاريخية العديدة التالية :-

(١)

حدث في الكنيسة خلاف في تعيين يوم عيد الفصح(٢) فكانت كنائس اسيا الصغرى تحتفل بذكرى الخلاص والصلب في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان القمري في اي يوم اتفق من الاسبوع وفي السادس عشر منه تحتفل بعيد القيامة ، واما الكنائس الاخرى فكانت تفرز يوم الجمعة لذكرى آلام المسيح ويوم الأحد لذكرى قيامته . وفي سنة ١٥٥ وجد في روما القديس فوليقربوس تلميذ يوحنا الرسول وأسقف أزمير ، فجادل انيقطس الحمصي أسقف روما «١٥٥ـ١٦٨» في هذا الشأن ، وبعد محاورة طويلة بينهما لم يتمكن أحدهما من إقناع صاحبه حيث أفرغ كل منهما كنانة جهده في تثبيت رأيه من التقليد الرسولي ، ثم قفل القديس فوليقرفوس راجعاً الى أزمير بعد ان أعاد كثيراً من الهراطقة في روما الى كنيسة الله . ولما

١) بطريركية انطاكية تأليف الدكتور نيل ص ٤٥

٢) راجع عن قضية عيد الفصح اوسابيوس ٤ : ١٤ و ٥ : ٢٣ و٢٤و٢٥

تسقف فيكتور على روما في أواخر القرن الثاني ، أعاد البحث في القضية ، فكتب الى القديس بوليكرات أسقف أفسس ليترك عادة بلاده وإلا قطع عنه الشركة ، فعقد هذا مجمعاً حضره خمسون أسقفاً من اسيا الصغرى ، رفضوا طلب فيكتور ، وقرروا البقاء على عادتهم ، ولما أراد فيكتور ان يعكر سلام الكنيسة وبخه بشدة القديس ايريناوس وغيره من الأساقفة ، فاقتنع فيكتور بذلك ، ورجع عن رأيه وبقي كل على عادة بلاده حتى المجمع النيقاوي ، وقد اخبرنا القديس اثناسيوس الاسكندري في الفصل الرابع من كتابه عن المجامع « ان آباء نيقيا لما أصدروا حكما في قضية عيد الفصح قالوا هذا ما رأيناه حسنا » اي انهم لم يستندوا بذلك على رأي غيرهم .

(٢)

زال اضطهاد داقيوس سنة ٢٥١ بعد ان ترك جاحدين من المؤمنين فحدث بحث في الكنيسة من جهة قبولهم ، وكانوا كثيرين من مختلف البلدان وخاصة في روما (١) فكتبت كنيسة روما رسالتين الى القديس قبريانس مطران قرطاجنة ليبت في الأمر ، فأجابها قائلا :« ان هذا الأمر لا يخص شخصاً واحداً او بيعة واحدة او أقليما واحداً ، بل يخص العالم المسيحي كله » (٢) .

« ولذا يجب ان يترك للحكم المشترك من قبل أساقفة الكنيسة كلهم » (٣)

١) الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة تأليف كيرلس مقار أول وآخر بطريرك للقبط المنفصلين جزء٢ص٢١٣ ٢) قبريانس رسالة ١٣ : ١٤ و ١٩

٣) قبريانس رسالة ١٩ : ١٥و ٢٠

فرفضت كنيسة روما رأي القديس قبريانس ، وهكذا وضع لهذا الأمر قانون مشترك من جميع الكنائس كما تشهد مؤلفات القديسين قبريانس وديونيسيوس الاسكندري (١) .

(٣)

ان كنائس سوريا ومصر وافريقيا وآسيا الصغرى اعتبرت معمودية الهراطقة فاسدة ، فكانت تعمد المرتدين منهم الى أحضان البيعة الارثوذكسية كأناس غير معمدين وفقاً للقوانين الرسولية (٢) اما كنيسة روما فاعتبرت معموديتهم صحيحة ، فحدث خلاف عظيم لأجل ذلك في الكنيسة وخاصة بين اسطيفانوس الروماني والقديس قبريانس القرطاجني ، فعقد القديس قبريانس مجمعاً سنة ٢٥٥ في قرطاجنة حضره سبعة وثمانون أسقفاً من افريقيا فأيد التقليد القديم ، وفي سنة ٢٥٦ عقد ثانية وثبت قراره السابق فأدى ذلك الى تداول رسائل شديدة اللهجة بين اسطيفانس والقديس قبريانس (٣) ثم عقد المجمع القرطاجني ثالثة في ايلول تلك السنة ، فارتأى الأسقف الثالث والعشرون من أعضائه بان أسقف روما في ضلال ، وقال الرابع ان أسقف روما جاحد لايمان الكنيسة ، وأعلن الأسقف الواحد والستون بان أسقف رومية هو يهوذا بالنسبة الى عروس يسوع المسيح التي باعها لأعدائه (٤)

١) اوسابيوس ٦ : ٤٦
٢) القوانين الرسولية ٢ و ١٦ و ٢١ و ٢٤ وهدايات ابن العبري ٢ : ١
٣) قبريانس رسائل ٧٠ـ٧٥
٤) الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة لكيرلس مقار جزء ٢ ص ٢٥٦

ثم أيد المجمع القرار السابق . وقد رأينا مار فرمليانس أسقف قيصرية قبا دوقية يوبخ برسالته الى القديس قبريانس كبرياء الرومانيين مبينا لهم بانهم دائما لا يحافظون على الايمان القويم والتقليد القديم (١)، ومما قال فيها لاسطيفانس الذي تجرأ على قطع الشركة مع تلك الكنائس « لا تضل ! انك بنفسك قطعت نفسك ، لأن المنشق هو الذي ينكر شركة الوحدة الكنسية ، فبقدر ما تظن ان لك قوة لتفصل الآخرين منك ففي الوقت نفسه تكون أنت وحدك مفصولا عن الكل » ، وبعد موت اسطيفانس عادت المياه الى مجاريها ، بيد ان أمر معمودية الهراطقة لم ينته إلا في المجمع النيقاوي وكان قراره فصل المقال .

(٤)

في الربع الأول من القرن الرابع أنكر اريوس القس الاسكندري ألوهية المسيح ، فحاكمه أولا مار الكسندروس الاسكندري في مجمعه الاقليمي، ولما لم يرعو رفع أمره الى المجمع النيقاوي ، فاصدر قراراً ضده مستنداً على سلطته المطلقة ، وقد شهد القديس اثناسيوس في كتابه المجامع الفصل الرابع « ان آباء نيقيا لما قرروا عن الايمان قالوا هذا ما تؤمن به الكنيسة الجامعة ، مبينين بان ايمانهم ليس جديداً بل هو الذي سلمه الرسل للكنائس » ، ولكننا رأينا بعد ذلك اكثر الكنائس الغربية تجحد الايمان الارثوذكسي وتنفصل عن شركة القديس اثناسيوس الاسكندري وتنغمس

١) قبريانس رسالة ٧٥ ، وتاريخ جيسلر بالانكليزية مج ١ ص ٢٨٦ ، والوضع الالهي جزء ٢ ص ٢٥٨

في حمأة اريوس ، ثلاث مرات ، في ثلاثة مجامع غربية، اولا سنة ٣٥١ في مجمع ارلس ، ثانيا سنة ٣٥٥ في مجمع ميلان حيث وقع ذلك ٣٠٠ أسقف غربي ، ثالثا سنة ٣٥٩ في مجمع ريميني حيث أمضى ذلك ٣٨٢ أسقفاً غربيا فضلاً عن ليباريوس الروماني الذي كبا ساقطا في هذه البدعة الوخيمة سنة ٣٥٨ في مجمع سيرميون الغربي(٢) .

(٥)

في سنة ٣٦٠ اعتلى السدة الانطاكية القديس ميليطس ، وبعد ايام قلائل نفاه الاريوسيون ، وسنة ٣٦٢ جاء انطاكية لوسيفار اسقف كاجليار (جزيرة سردينيا) الغربي ، واحدث شقاقا بين ارثوذكسيي انطاكية اذ تجاسر فسام القس بولينوس الشيخ اسقفاً لفئة منهم ، ودعم هذا الشقاق داماسوس الروماني واساقفته الغربيون حسداً من مناقب القديس ميليطس فحدث اذ ذاك نزاع بين الاساقفة الشرقيين والغربيين(٢) وسنة ٣٧٨ اضطر

١) كتاب المجامع لمار ايلاريوس اسقف بواتيه «فرنسا» مج ٦ ص١٣٣٦ ـ ١٣٤٠ ، ان كثيرين من اساقفة روما سقطوا في مخاطر الزلل، فان زفيرينوس وقالسطوس خلفه ٢٠٢ـ٢١٨ سقطا في بدعة براكسياس رئيس مؤلمي الآب، ومركلينوس سجد للاوثان وضحى لها سنة ٣٠٣ في اضطهاد ديوقلطيانس، وفيلكس الثاني اخذ الشرطونية من الاريوسيين ووجيليوس وهونوريوس ولاون الثاني ويوحنا الثاني والعشرون وغيرهم كانوا هراطقة بالنسبة الى معتقد روما .

٢) رسالة الـ ٢١٤ للقديس باسيليوس الكبير

داماسوس والغربيون ان يعترفوا بالقديس ميليطس ، بيد انهم طلبوا ان يكون بولينوس شريكا له في حياته في ادارة الكرسي الانطاكي ، وان يخلفه وحده بعد وفاته ، وان سكت هنيهة اساقفة ابرشية انطاكية بغية السلام ، ولكنهم احتجوا على ذلك بعد سنتين في المجمع القسطنطيني ، فنبذ هذا المجمع ما قرره الغربيون من جهة شقاق انطاكية نبذ النواة ، ووضع قانونه الثاني منعاً لتداخل الاساقفة في ابرشيات غيرهم ان لم يدعوا ، وأبلغ ذلك داماسوس الروماني بعبارات شديدة اللهجة ، منكراً عليه تداخله في أمر ذلك الشقاق وتحزبه لبولينوس بينما لم يكن له سلطة ان يفعل ذلك في ابرشية ليست له ، وقد حفظ ثاودوريطس المؤرخ تلك الرسالة (١) .

(٦)

أقلقت راحة الكنيسة بدع مقدونيوس وسبيليوس وابوليناريوس في القرن الرابع ، تلك البدع التي طردت من الشرق ، فكانت روما ملجأ لها كما اخبرنا القديس باسيليوس الكبير في رسائله الى القديس اثناسيوس الاسكندري (٢) ولذا كتب هذا القديس احتجاجات كثيرة ضد روما(٣) فعقد المجمع القسطنطيني سنة ٣٨١ لدحض تلك البدع ولوضع حد لشقاقي كنيستي انطاكية والقسطنطينية . فلم يحضره داماسوس الروماني ، بل لم يوفد اليه نائباً عنه او على الأقل رسالة كعادة الاساقفة الذين لا يتمكنون

١) ثاودوريطس ٥ : ٩ ٢) رسائل الـ ٦٦ و ٦٩ و ٨٠

٣) رسائل الـ ٧٠ و ٩٢ للقديس باسيليوس الى داماسوس الروماني ورسالته الـ ٢٣٩ الى القديس اوسابيوس الشميشاطي

من حضور المجمع. وقصارى القول فقد عقد المجمع دون رغبة اسقف روما ، ذلك لان في الوقت نفسه عقد مجمع آخر في روما برئاسة داماسوس هذا والقديس امبروسيوس اسقف ميلان ، فكتب داماسوس الى الاساقفة الشرقيين لحضور مجمعه ليكون المجمع شاملا، فرفضوا طلبه كما يشهد المؤرخ ثاودوريطس . ومع ان التئام المجمعين كان لغرض واحد ، فقد اعتبرت المسيحية جمعاء المجمع القسطنطيني وحده مسكونياً معصوماً من الغلط ، واضافت قراره عن الروح القدس الى قانون الايمان مع ان آباءه كلهم كانوا شرقيين وقد ترأسه بطريرك انطاكية ، بعكس مجمع روما الذي كان اكثر عدداً ، فضلا عن ان اسقف روما نفسه هو الذي ترأسه . فرضخت روما ايضا لذلك وخضعت لمقرراته واعتبرته مجمعاً مسكونياً بعكس مجمعها . وقد نظر هذا المجمع في شقاق كنيسة انطاكية ، ورفض ما كان قد قرره من جهة داماسوس الروماني والغربيين كما سبق القول ، كما انه رفع منزلة الكرسي الاسقفي القسطنطيني وجعله احد الكراسي الاربعة العظام، وطرد مكسيمس القونيقي الذي سامه مار بطرس الاسكندري لهذا الكرسي ، وأبطل الشرطونيات التي أجراها (١) كل ذلك حكم به المجمع القسطنطيني من دون ان يستشير به روما .

(٧)

في الربع الاول من القرن الخامس ابتدع بيلاجيوس الراهب البريطاني بدعة وخيمة ، فتتلمذ له أحد اشراف ارلندة يدعى قلاسطينوس تركه في

١) مجموعة قوانين المجامع لمار يعقوب الرهاوي

افريقيا ليفسد عقول المؤمنين هناك ، وذهب هو الى فلسطين لينشر ضلاله فعقد مجمع الاساقفة الافريقيين في قرطاجنة سنة ٤١٢ وحرم قلاسطينوس كما حرمت مجامع فلسطين بيلاجيوس . فشد الرحال كلاهما الى روما ، حيث انخدع بهما زوسيموس الروماني وقبلهما في شركته وكتب يحتج بشدة على المجمع الافريقي الأمر الذي دعا هذا المجمع ان ينعقد ثانية سنة ٤١٧ ويعلن خطأ اسقف روما . ثم أشار العلامة مار اوغسطينوس الشهير اسقف هبو على الاساقفة ان يعقدوا مجمعاً أعظم لفحص قضية البيلاجيين ، فانعقد في اوائل ايار سنة ٤١٨ حضره ٢١٧ اسقفاً افريقياً برئاسة اوريليوس رئيس اساقفة افريقية . فابتكر زوسيموس الروماني قوانين جديدة لتثبيت رئاسة كرسيه الروماني العامة، ونسبها الى المجمع النيقاوي ، وبعث بها الى المجمع الافريقي صحبة نوابه ، بيد ان ذلك المجمع القرطاجني أنكر على اسقف روما دعواه . فقد طالع عدة نسخ لاتينية لقوانين مجمع نيقية ولم يجد فيها صحة دعواه ، وحرر كل من بطاركة انطاكية والقسطنطينية والاسكندرية يطلب نسخة قوانين نيقية ، كما انه كتب الى بونيفاسيوس الاول الذي خلف زوسيموس سنة ٤١٨ لكي يكتب هو ايضا الى آباء الكنائس الشرقية المذكورة ويأتي بالقوانين النيقاوية الثابتة قائلا « ان في الكنيسة الشرقية توجد المراسيم الاصلية نفسها » . فوردت الى المجمع الافريقي نسخة الأصل من القديس كيرلس بابا الاسكندرية ، ومن القديس اطيقوس القسطنطيني ، وحينئذ تأكد من تزوير الاسقف الروماني . فكتب الى قلسطينوس الذي خلف بونيفاسيوس رسالة مجمعية شديدة اللهجة قرعت كبرياء الرومانيين . ثم منع هذا المجمع بقانونه الحادي والثلاثين استئناف دعاوي الاكليروس امام

المحاكم التى فى عبر البحر « روما » ومن قصد ذلك فلا يقبله أحد فى الشركة فى بلاد افريقيا ، بل قد أمر بقانونه المئة والثامن بأن من عدم الشركة فى بلاد افريقيا ومضى الى نواحي عبر البحر « روما » ليشترك هناك يفقد رتبته . وأعلن ذلك في رسالته الى قلسطينوس المذكور قائلا : « من الآن فصاعداً لا تحتمل افريقيا ذلك البتة (١) » . ولما عقد المجمع الافسسي الاول سنة ٤٣١ أيد حرم البيلاجيين دون ان يعتبر بشيء ما عمله اسقف روما من قبوله اياهم فى شركته .

(٨)

سنة ٤٤٩ عقد المجمع الافسسي الثاني برئاسة القديس ديوسقوروس البابا الاسكندري تذييلا للمجمع الافسسي الاول . فعزل دومنوس الثاني الانطاكي وفلبيانس القسطنطيني وغيرها لاعتناقهم بدعة نسطور . وأقام مكسيموس بدلا من دومنوس واناطوليوس بدلا من فلبيانس ورفض تلاوة رسالة لاون الروماني التى أنفذها الى المجمع صحبة نوابه. وبعد ختام المجمع عاد نواب لاون الى روما وأخبروه بما جرى ، فتميز غيظاً وحاول افتراس القديس ديوسقوروس، ولكن أنى له ذلك والامبراطور ثاودوسيوس المؤمن يصرح بان المجمع عقد بمخافة الله المطلقة (٢) ؟

١) راجع عن هذا خاصة كتاب الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة لكيرلس مقار بطريرك القبط الباباويين

٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٧٣-١٨٣ وتاريخ ابن العبري الكنسي فى ترجمة مكسيموس البطريرك

(٩)

انقضت سنتان على المجمع الافسسي الثاني المقدس ، ولاون الروماني يتقلب على أحر من الجمر حتى صفا له الجو بوفاة الامبراطور ثاودوسيوس الثاني . فتبوأ عرش القسطنطينية مرقيان النسطوري وتزوج من الراهبة بلخارية أخت ثاودوسيوس . فتغير بذلك جو السياسة ، الأمر الذي كان يؤذن بتعكير جو الكنيسة ايضا . قام لاون يهرول لافتراس القديس ديوسقوروس ، وبتحريضه دعا مرقيان لانعقاد المجمع الخلقيدوني ، غير ان لاون وإن تمكن فى ذلك المجمع الارهابي من تنفيذ مآربه فى القديس ديوسقوروس ، وإحلال بدعة نسطور نقضاً للايمان النيقاوي القويم، فقد كان المجمع نفسه ضربة قاضية على آماله وآمال خلفائه فى الكرسي الروماني، لانه رفع بقانونه الثامن والعشرين رتبة الكرسي القسطنطيني فوق كل الكراسي ، وأمر فى قانونه التاسع ان ترفع اليه الدعاوي ضد كل المطارنة والاساقفة .

(١٠)

يدعي علماء الباباويين بان نواب لاون الروماني في المجمع الخلقيدوني اعترضوا آنئذ على ذينك القانونين . فاذا صح ذلك ألم يكن نداؤهم كصرخة في واد ؟ بل لو كان لروما ميزة السلطة على الكنيسة المسيحية جمعاء كيف يضع ذلك المجمع أنظمة دون رغبة نواب روما ؟ او كيف تنفذ بعد اعتراضهم عليها ؟ والأنكى ان لاون نفسه قد اعترض على ذينك القانونين بعد تنفيذها برسالتيه الى مرقيان الملك واناطوليوس القسطنطيني قائلا « ان الامتيازات

التي حازتها كراسي روما والاسكندرية وانطاكية في المجمع النيقاوي ينبغي ان تبقى ثابتة غير متزعزعة » ولكن بلا جدوى ، فقد ظهر تأثير ذينك القانونين حالا حيث نرى اوطاخيوش القسطنطيني سنة ٥٥٣ يرأس المجمع المسمى عندهم بالخامس في قسطنطينية (١) مع وجود ويجيليوس الروماني فيها إذ ذاك .

(١٢)

في اواسط القرن السادس حدث بحث من جهة مصنفات يهيبا الرهاوي ، وثاودوريطس القورشي ، الاسقفين النسطوريين اللذين قبلا في المجمع الخلقيدوني دون ان يحرما نسطور ومصنفاتها النسطورية ، وثاودورس اسقف مصيصة معلم نسطور الذي أوجد البدعة النسطورية ومات في الضلال ، وكان المجمع الخلقيدوني قد أعلن ارثوذكسيته بعد موته . ولما تثبت الملك يوسطينيان من ذلك ، أصدر مرسوماً ضد مصنفات هؤلاء ، ومما جاء فيه :

١) أعلم ان العلماء الرومانيين لم يزالوا حتى الآن يشكون بقداسة المجمع الخلقيدوني لأجل القانونين المذكورين أعلاه ، كما ان المجمع الخامس للخلقيدونيين المنعقد سنة ٥٥٣ نفسه نقض المجمع الخلقيدوني بتقريره ضد مصنفات يهيبا الرهاوي وثاودوريطس القورشي وثاودوروس المصيصي ، الاساقفة النساطرة الذين كان قد قبلهم المجمع الخلقيدوني ولم يحرم الاساقفة الغربيون ويجيليوس الروماني (٥٣٧ ـ ٥٥٥) إلا لقبوله ما قرره ذلك المجمع ، وكذلك قل عن البابا هنوريوس (٦٢٥ ـ ٦٣٨) الذي حرمه المجمع السادس للخلقيدونيين لاعتقاده بالمشيئة الواحدة بحسب الايمان الارثوذكسي.

« ان ديوسقوروس لم يخطيء بشيء بأمر الايمان » . ثم عقد مجمعا في قسطنطينية سنة ٥٥٣ وهو المجمع الخامس المذكور ، حضره ١٦٥ اسقفا خلقيدونيا ، وكان ويجيليوس الروماني (٥٣٧ـ٥٥٥) آنئذ في قسطنطينية ، فانعقد المجمع برئاسة اوطاخيوس القسطنطيني وحرم اصحاب الفصول الثلاثة مثبتا مرسوم الملك ، فأبى ويجيليوس ان يوقع القرار ، فنفاه الملك ، ثم ندم ووقعه فاعاده الى كرسيه ، فانفصل عنه اساقفته وعزلوه لاحتقاره بذلك المجمع الخلقيدوني .

(١٣)

في سنة ٥٨٧ عقد اساقفة اليونان مجمعا في قسطنطينية منحوا فيه يوحنا الصائم البطريرك القسطنطيني لقب « البطريرك المسكوني » . فاعترض على ذلك بيلاجيوس الثاني الروماني برسالة الى اعضاء المجمع المذكور مبينا مساواة الكراسي الرسولية بالسلطان والرئاسة مدعيا بان لقبا كهذا قبيح جداً ، ولم يجسر احد قبل ذلك ان يلقب به لانه لقب رئيس واحد فقط هو المسيح . ولما خلفه غريغوريوس الكبير سنة ٥٩٠ كتب الى يوحنا القسطنطيني المذكور معترضا ايضا على لقبه قائلا : « إن هذا اللقب يليق بالمسيح رئيس الكهنة العام فقط ، وانه بذلك يتمثل بالشيطان » . ثم بين له بان « اساقفة كرسيه الروماني وان دعوا مسكونيين في المجمع الخلقيدوني ، فقد كان ذلك شرفيا ليس إلا ، اذ لم يطلب احدهم في اي وقت كان لقبا مثل هذا ، ولم يختلس لنفسه اسما قبيحا مثله لئلا يكون كمن ينكر مجد كل اخوته » . وفي رسالته الى البطاركة الخلقيدونيين الآخرين يقول : « انها

لكبرياء عظيمة ! فان يوحنا سلب لنفسه سلطاناً على المتحدين برئيس واحد هو المسيح . فاذا أذنوا له ان يستعمل هذا اللقب يفقد كل الأساقفة رتبتهم . وان سقط في ضلال هذا الذي يدعو نفسه بطريركا مسكونيا . لا يبقى اذ ذاك اسقف آخر ثابت على الحق » . وفي رسالته للقيصر موريقي يقول : « انني أقول بكل صراحة ان من يدعو نفسه مسكونيا يسبق بكبريائه المسيح الدجال ، الذي يرفع نفسه فوق الآخرين . فكما ان ذاك يريد ان يظهر إلها امام الناس ، هكذا هذا ايضا أي من يريد أن يدعى « حبراً اعظم » او يتميز بكبرياء فوق كل الأحبار » . وفي رسالته لأولوجيوس الاسكندري الخلقيدوني يقول : « ان الكنائس الثلاث : روما والاسكندرية وانطاكية صارت كالحبل المثلث الغير المنقطع ، وغدا لها التقدم على جميع الكنائس » .

(١٣)

عقد الخلقيدونيون مجمعا بعد مجمعهم المسمى السادس في ترولو ، واعتبروه سادسا لانه أصدر ١٠٣ قوانين تكملة لأعمال المجمعين الخامس والسادس . أجل لقد اعتبروه مسكونيا ، وان أبى ان يمضيه سرجيوس اسقف روما ، لأن فيه شرحت وحددت بعض القضايا المتمسكة بها روما خلافا للتقليد الكنسي .

وهكذا كلما سرنا مع التاريخ الكنسي جنباً الى جنب لا نرى أثراً للسلطة المطلقة التي ينادي بها اساقفة روما لانفسهم على كنيسة الله جمعاء ، بل كل الامور تنفي ادعاءهم .

على اننا لا ننكر ان البابا بونيفاس الثالث الروماني حصل من « فوقا » اشر ملوك قسطنطينية لقب « الاسقف المسكوني » الذي كان يلقب به بطريرك قسطنطينية كما سبق القول . ان المؤرخ فرافيسون الدومنيكي الاستاذ في كلية باريس واللاهوتي الشهير بين اتباع روما ، يبين لنا في ص ١٧ من المجلد الثالث من تاريخه سبب ذلك قائلا : في سنة ٦١١ بعد ان اعلن « فوقا » نفسه امبراطورا قتل موريقي ملك قسطنطينية بعد ان فتك باولاده الثلاثة امام عينيه بقسوة لا تطاق . وفضلا عن هذا فقد أتى بافظع الاعمال وقتل كثيراً من الرؤساء والاعيان وأثار اضطهادا عنيفا على اصحاب موريقي . ولم يكتف باهراق دماء هؤلاء ، بل قتل ايضا الملكة قسطنطينة زوجة موريقي وبناتها الثلاث ، وعمل فظائع اخرى محزنة لم يسمع بمثلها قط في عائلة موريقي حيث استأصلها . فلما رأى ذلك يوحنا القسطنطيني حرم الملك فوقا واعوانه ، فغضب عليه فوقا وجرده من لقب « البطريرك المسكوني » . وبما ان البابا بونيفاس الثالث الروماني كان يطمح الى هذا اللقب بالرغم من علمه بما قاله اسلافه عمن يتوق اليه بانه « يتمثل بالمسيح الدجال والشيطان » أراد ان يعقد مودة معه ، فارسل حالا وفدا الى فوقا القاتل »

ثم يخبرنا هذا المؤرخ وبولس دياقونوس (الشماس) في كتابه المدعو « القرن الثامن » المجلد الرابع الفصل الـ ٣٧ وانسطاس المؤرخ الروماني كيف منح فوقا لقب « الأسقف المسكوني » لبونيفاس بدلا من البطريرك القسطنطيني ، وقرر ان تكون روما الاولى بين الكنائس بدلا من كنيسة قسطنطينية فبينما نرى الآباء الشرقيين منكبين على درس كتاب الله ، منصرفين الى حل غوامضه ومشكلاته مفكرين في ايجاد الاصطلاحات اللاهوتية الصحيحة ،

تنويراً لأذهان المؤمنين : نرى أساقفة روما يحاولون بسط سطوتهم على كنيسة الله جمعاء بتزوير القوانين وغيرها من الأساليب كما رأيناه آنفاً ، وقد صرح المعلم فلوري المؤرخ الغربي بوجود مراسيم كثيرة مزورة في روما موبخاً انحراف أساقفتها عن جادة الحق ، وفي القرن التاسع وبخ فوتيوس القسطنطيني كبرياء أساقفة روما الذين تجرأوا على اخضاع كنيسة البلغار لهم مع انها كانت خاضعة لبطريرك القسطنطيني . فانعقد مجمع سنة ٨٧٩ حضره نواب البابا يوحنا الثامن الروماني ، فرفض المجمع عمل أسقف روما وهكذا لم يحصل على بغيته باخضاع البلغار (١) .

وفي سنة ١٠٩٥ بدأ الصليبيون جنود روما بهجومهم الأول في سوريا وفلسطين ، فلما استولوا على البلاد أقاموا بطاركة وأساقفة من جنسهم على كثير من تلك الكنائس من دون اعتبار البطاركة والأساقفة الاصليين إلا نادراً (٢) وبواسطة تملك الافرنج في فلسطين وسوريا ، والانقلابات الحربية الكثيرة التي حدثت في بلاد الشرق ، انفتح السبيل لروما في طول الشرق وعرضه ، فوجهت بارسالياتها الى بلاد مختلفة (٣) وفي بدء القرن الثالث عشر اعتنق الموارنة في جبل لبنان المذهب الروماني على عهد البابا

---

١) قال البابا نيقولاوس الاول في رسالته الى مجلس شورى بلغاريا سنة ٨٦٦ عدد ٩٢ « ليس في المسيحية إلا ثلاث كنائس اساسية ورسولية وهي رومية والإسكندرية وانطاكية ، وعليه فهي وحدها بطريركيات ».

٢) تاريخ لومون ص ٤٣٦

٣) « « « ٤٩٠

انوكنتيوس الثالث الذي أخضع بطريركهم لبطريرك اللاتيني (١) ، وحوالي سنة ١٢٦٨ ، لما فتح المسلمون مدينة انطاكية ، هرب كثير من الأفرنج الى جبل لبنان فأغاثهم بطريرك الموارنة شمعون وآواهم ، فأرسل البابا الكسندر الرابع وشكر البطريرك واعترفاً بصنيعه سماه بطريرك انطاكية (٢) .

وفي أواسط القرن السابع عشر اعتنقت المذهب الروماني ايضاشرذمة من السريان في حلب ، وبمساعدة القنصل الفرنسي فرنسيس بارون أقاموا لهم بطريركا سنة ١٦٦٢ هو اندراوس اخيجان ، ثم انقطعت سلسلته حتى لحها ميخائيل جروه في أواخر القرن الثامن عشر ، وسنة ١٧٢٤ اعتنق المذهب الروماني بعض الملكيين في سوريا وأقاموا لهم بطريركا سمي بطريرك انطاكية (٣) .

أما في العراق فأول من اعتنق المذهب الروماني كان سولاقا الذي رسمه البابا الروماني يوليوس الثالث جاثاليقاً لأتباعه من النساطرة سنة ١٥٥٣ واتخذ له آمد مركزاً لأعماله ، وبه تبتديء الجثلقة الكلدانية ، غير ان هذا الفرع من النساطرة لم يثبت أمينا لروما على الدوام ، بل كان متقلبا ومتلونا تلون الحرباء ، ذلك لأن انضمامهم الى روما لم يكن اقتناعا منهم بإيمان بل عن خصام ، ولم تتجدد الصلات حقا الا سنة ١٨٤٠ في عهد البطريرك اشعيا يعقوب .

وكان اهل قرهقوش أول من انضم الى روما في العراق من السريان

---

١) تاريخ لومون ص ٥٨١

٢) « « « ٤٩٥

٣) « « « ٦٣٣

الارثوذكس وذلك سنة ١٧٨٠ لأسباب قاهرة ، ثم انتشر المذهب الروماني في الموصل وقراها رويداً رويداً في الربع الاول من القرن التاسع عشر وقد أخبرنا المطران اثناسيوس متى الهندي الذي وجد سنة ١٨٤٢ في الموصل عن كيفية دخول بعض من السريان الارثوذكس في الموصل المذهب الروماني فقد كتب رسالة بالانكليزية الى أحد القسوس المليباريين عند وصوله بومباي في (١١ مارج) آذار سنة ١٨٤٣ نجتزىء منها الفقرات التالية :

« ان رسل اللسان الخطية كانوا يفرغون جهدهم في جذب شعبنا الى شبكة البابوية ، وقد أنشأوا مدارس وسعوا في جذب أولادنا الى مؤسساتهم ، لقد جاء رجل فرنسي مثري يدعى بوري (هو قنصل اورشليم حالا) من تلقاء نفسه ليكمل رغبة البابا ، وقد سقط في شبكة البابوية خمس عشرة عائلة وهناك آخرون كثيرون أوشكوا أن يسقطوا ، واعلم أن شعبنا مظلوم من الحكام الاتراك من جهة ، ومن جهة أخرى مرهق من البابويين ، والبابويون تحميهم الحكومة الفرنسية ، أما شعبنا فهو متروك لرحمة الحكام القساة ، والرجل الفرنسي الآنف الذكر يعد بالمحافظة على كل الذين يعتنقون البابوية ، وباعفائهم من الضرائب على اختلاف انواعها ، وغير ذلك من وعود اخرى كثيرة خلابة مثل هذه ، وقد أحدثت هذه الامور اضطرابا عظيما في شعبنا ، حتى أن حوالي خمس عشرة عائلة أمست بابوية »(١)

على أن الدولة العثمانية أدركت نوايا المرسلين اللاتين في الشرق ، فاصدرت عدة براءآت للملل المسيحية الشرقية ضد المرسلين المذكورين منها : براءة

١) انظر ترجمة المذكور بالمليالم ص ٣٢ و ٣٣.

من السلطان أحمد الثالث أصدرها من مقام أدرنة الى قاضي حلب ، لمنع رهبان اللاتين من نصب المكائد والاشراك للمسيحيين الروم والارمن والسريان ليتبعوا مذهبهم ورد فيها : انهم يدعون الى مذهبهم بطرائق الحيل والخداع النصارى الذميين الروم والارمن والسريان » ، وهي مؤرخة في أواخر صفر سنة ١١١٤ « ٢٥ تموز ١٧٠٢م (١) » .

***

١) نسختها التركية التي أمضاها بتوقيعه وخاتمه : خليل المولى خلافة بمدينة حلب الشهباء ، مصونة في الخزانة البطريركية بحمص .